الاصدار (١٥), العدد (٢/٦٢) , الصفحة(٤٠٥-٤٢٠) .April Vol.(١٥), No. (٦٢/٢),P ٢٠٢٤

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

مجلة الدراسات التاريخية والحضارية

Journal of historical & cultural studies

(Online) ٢٦٦٣-٨٨١٩ E- ISSN:-(Print) ٣-١١١٦٢٢ ISSN:

Journal Homepage: http://jhcs.tu.edu.iq

دراسة في تاريخ المجتمع العراقي بين الماضي والتحديث السياسي في العراق ١٨٥٠-١٩١٤

اسم الباحث/ ة (١): م.د. جاوان حسين فيض الله الجاف

الدرجة العلمية: دكتوراه

التخصص العلمي: تاريخ

مكان العمل: مدير قسم العلاقات العامة والاعلام في رئاسة ديوان الوقف السني

مركز وعي للاستشارات وبناء القدرات – أربيل

ملخص البحث عربي:

إن التغيرات العميقة التي حصلت في المجتمع العراقي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ما هي إلا محصله لمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية الناتجة بصوره الرئيسية عن العامل الاقتصادي الخارجي، التي أدت إلى قلب الموازين في العلاقات الاجتماعية، والتي هي أبرز مظاهره صعود فئات اجتماعية جديدة. لكن في الوقت نفسه سمح الحراك الاجتماعي المطالب الطبقات الاجتماعية المحرومة وامتياز الفئات المتنفذة من خلال بروز الاقطاع التجاري التي هي ناتجة عن عمليه تكييفيه لإفرازات العامل الاقتصادي الخارجي. إن الفئات التي اكتسبت وضع المادية ومعنوياً في المجتمع العراقي، أصبحت تخشى التغيير من تلك المخاوف التي أثارتها المتغيرات الاجتماعية والفكرية الطارئة، كذلك أيضاً بعض الفلاحين والعمال تسمى بشعور فقدان الأمن عن الفقر والخاصة تجاه العالم الخارجي

الكلمات المفتاحية: المجتمع العراقي –العامل الاقتصادي–السلطة–العهد العثماني –تاريخ العراق الحديث

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

A study in the history of Iraqi society between the past and political modernization in Iraq ١٨٥٠-١٩١٤

Name of The Researcher(١):

Degree: Dr

Scientific specialization: history

Place of work:

Abstract

The profound changes that occurred in Iraqi society during the second half of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century are nothing but the result of economic and social variables resulting mainly from the external economic factor, which led to a change in the balance of social relations, which is the most prominent manifestation of the rise of social groups. New. But at the same time, the social movement allowed the demands of the deprived social classes and the privilege of the powerful groups through the emergence of commercial feudalism, which is the result of a process of adaptation to the secretions of the external economic factor. The groups that have acquired a material and moral status in Iraqi society have become afraid of change due to the fears raised by the urgent social and intellectual changes. Likewise, some farmers and workers are called by a feeling of loss of security from poverty and their own vis-à-vis the outside world.

Keywords: Iraqi Society–Economic Factor–Authority–Ottoman era–Modern history of Iraq

Received: الاستلام

Accepted: القبول

Available Online: April / ٢٠٢٤ النشر المباشر

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

المقدمة:

شهد العراق خلال المدة الواقعة ما بين ١٨٥٠-١٩١٤، عدة تطورات عديدة شملت الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حيث أصبحت الأرضية مناسبة التي ساعدت على تلك التطورات. ويأتي في مقدمتها الاقتصاد العراقي، من خلال الحركة التجارية النشيطة بين العراق ومناطق أخرى من العالم. أدى إلى تراكم الفائض من انتاج بعض السلع المحلية حيث أولى بعض ولاة بغداد اهتمام واضح بالجانب الاقتصادي ونمو الطبقة العاملة حيث اهتموا كثيرا بعملية الإصلاح والتحديث، حيث كان هدفهم ربط الاقتصاد العراقي بالأسواق الرأسمالية العالمية وذلك بعد افتتاح قناة السويس ١٨٦٩، وانفتاح العراق على بعض الدول الأوربية، نتيجة التبادل التجاري والبعثات الدبلوماسية، كل هذه العوامل أدت إلى تحديث المجتمع العراقي حيث زادت أهمية حاجة المجتمع إلى مجموعة من المهن وآلات حيث لم يكن المجتمع بحاجه اليها من قبل.

وبما أن طبيعة العلاقات الاجتماعية تختلف من ناحية التطور وتغيير في علاقات الإنتاج حسب التطور العلاقات في عملية أسلوب الإنتاج تختلف من مجتمع إلى اخر من ناحية التقدم والازدهار، وتغير العلاقات والروابط الداخلية في المجتمع. الأمر الذي ساعد على تغيير البنية التكوينية للمجتمع، لاسيما بعد ان تغيرت العلاقة بين الريف والمدينة، ومرافق من ذلك تغييرات في الأوضاع السياسية ساعدت بشكل فعال على تحديث المجتمع.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا البحث من خلال معرفة البنية الاجتماعية ومحاولة الفهم الدقيق والاكاديمي لأهمية العلمية للواقع والبنية الاجتماعية وترابطاتها داخل المجتمعات المتفاوتة وكل مجتمع وحسب كيفية العلاقات والترابطات داخل المجتمع ذات المكون الواحد أو متعدد المكونات ، فأن المجتمع العراقي من المجتمعات المتعددة المكونات مثل بعض الدول التي فيها العديد من المكونات من القوميات والأديان والمذاهب ودراستها من الناحية الاكاديمية لإبراز أهميتها عبر التاريخ الحديث الذي يسبب عدم الاستقرار من الناحيتين السياسية والاجتماعية .ودراسة بعض حالات المجتمع التي تراكمت لديهم الأموال ، على ظهور طبقة متيسرة تمكنت من أتباع الأساليب الحديثة حيث اتخذت الطبقات الغنية في المجتمع العراقي من خلال تكييف نفسها من التطورات التي طرأت على المجتمع ، حيث اتجه بعض أبناء الطبقة البرجوازية إلى ارسال أبنائهم إلى دول اوربية حيث ساعدت هذه الطبقة ونموها على ظهور بعض الافراد بامتلاك ثروات كبيرة واستطاعوا استثمارها في مجالات عدة .حيث أن واقع المجتمع العراقي يحاول باستمرار إلى تكوين نوع من السلطة السياسية الجيدة ، التي يعبر عن الآمال والاهداف الموحدة الذي

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

يحتاجه المجتمع .فأن العوامل الاجتماعية والاقتصادية الداخلية كانت اعجز من ان تنتج حالة فكرية ثورية في المجتمع العراقي .لذلك تركت الباب مفتوحا للعوامل الخارجية .

الأهداف:

على الرغم مالتي عالجت ان التوسع النسبي في حجم الدراسات التي عالجت التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في العراق الحديث والمعاصر ، لكن هذا الاهتمام لم يكن واسعا وكافيا ليشمل الجوانب الفكرية والثقافية ، وما يزيد من هدف الموضوع عدم قيام دراسة تحليلية لمدى علاقة البنية الاجتماعية والاقتصادية الحديثة في عملية تكوين الأهداف والأفكار والايدولوجيات في مختلف الفئات السائدة في العراق .حيث شهدت العقود الأخيرة تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والطبقية من خلال تعاظم دورها الفعال في تحديد مجموعة من الاتجاهات ،حيث ظلت لفترة طويلة على هامش التاريخ .

إن هذا الموضوع واسع النطاق متعدد الابعاد ومتشابك، ويعتبر واحدا من أهم المواضيع التي كثر حولها الجدل والآراء والأفكار. حيث كانت القضية الأساسية في صراع الطبقات والقوى التي تعبر عنها، وأيضا تعدد الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية التي تمثل طرائق واشكال مختلفة للإنتاج.

إن الفكر في الأصل وسيلة لا غاية، حيث إن الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة للفئات العراقية هي التي تملي عليها تصورات خاصة، ولأن تلك الاعتبارات تبين بصورة ناصعة في أحداث الحقبة الممتدة بين عام ١٨٦٩ افتتاح قناة السويس وتسارع توسع التجارة الخارجية، حيث أنتجت سلسلة من العمليات أدت بالتالي إلى حدوث تحولات اقتصادية وتصدعات اجتماعية في المجتمع العراقي، ١٩٠٨ ثورة الاتحاديين جمعية الاتحاد والترقي التي دفعت بمحاولات ترجمة التطلعات الاجتماعية العراقية للظهور إلى أرض الواقع.

خطة البحث:

المبحث الأول: البنية الاجتماعية العراقية المفهوم والدلائل.

المطلب الأول: تعريف البنية الاجتماعية .

المطلب الثاني: البنية الاجتماعية والنظام السياسي والعلاقة بينهما .

المطلب الثالث: المضمون في تفكيك البنية الاجتماعية ومعاييرها .

المبحث الثاني : الأوضاع العامة في العراق قبل عام ١٨٥٠

المبحث الأول : التطورات الاقتصادية في العراق ودورها في تحديث المجتمع .

المطلب الأول : التجارة

المطلب الثاني : الزراعة

المطلب الثالث : النقل

المبحث الثاني : السلطة والمجتمع ١٨٥٠-١٨٦٩

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

المبحث الأول

البنية الاجتماعية العراقية المفهوم والدلائل

أصبحت واقع العلاقات الاجتماعية في الواقع الذي نعيشه باختلاف جذري وكلي عن السابق، من خلال تطور العلاقات البشرية. هذا الأمر وإن كاد يختلف من مجتمعات إلى مجتمعات أخرى، من خلال التقدم والرقي في العلاقات الاجتماعية الداخلية. هذا الأمر يختلف حسب بناء وصورة المجتمع من خلال المكونات الاجتماعية أو القومية والدينية والمذهبية. يؤدي بنا المطاف إلى العلاقة المتبادلة بين تلك الافراد والمكونات المختلفة حيث يؤثر هذا الأمر على تغير المجتمع من النواحي الاجتماعية والسياسية.

المطلب الأول

تعريف البنية الاجتماعية

لابد في البداية أن نعطي تصور واضح وصريح حول البنية الاجتماعية التي تعتبر من الموضوعات المهمة في علوم الاجتماع، باعتبارها تحاكي السياقات الاجتماعية والترابط فيما بينها هذا التميز يجعلها تختلف عن البنية المادية باعتبار ان مجتمعنا الانساني في حالة مستقرة. (١)

كذلك الحال عن طبيعة البشر وحاجاته الضرورية اللازمة لغرض العيش بصوره مشتركه، والفرد مع بعضهم البعض باعتبارها حاله عيش الانسان الاعتيادي في جميع أرجاء المعمورة في المجتمع القديم. أما بالنسبة في الوقت الحاضر نرى المكونات الدينية والقومية والمذهبية والعرقية في داخل المجتمع الواحد يصطلح عليه المصطلح علمي (البنية الاجتماعية في المجتمع الواحد).

نرى إن مفهوم البنية الاجتماعية من وجهه نظر علم الاجتماع هو الإشارة إلى الترتيبات والعلاقات التي تتشكل داخل المجتمع وتعمل على تنظيمه وترتيب وظائفه، من خلال شمولها

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

بمجموعة من العوامل والعلاقات التي يتكون منها المجتمع مثل الطبقات الاجتماعية، القوانين والمؤسسات، والقيم والمعتقدات.

وفي نفس الوقت تعبر عن التنظيم الاجتماعي للمجتمع وتفاعل أفرادها مع بعضهم البعض. حيث إن في كل مجتمع من هذه المجتمعات التي تسود في العالم لها بناء خاص بها يختلف عن الآخر، من خلال تكوينها بمجموعة ثابتة من هذه العلاقات.

أما مفهوم البنية الذي اعتبر من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع من خلال اتفاق أغلب العلماء على (أنه من اول المفاهيم الاساسية التي على الباحث الخوض في طياتها). (٢)

حيث نرى أن المفهوم الأساسي والفكري في البنية الاجتماعية، هو اهتمام علم الاجتماع بجوانب الحياة الاجتماعية، التي لم تكن تدرس من قبل بطريقة غير منهجية. الأمر الذي أدى لارتباط البنية الاجتماعية بعلم الاجتماع، من خلال دراسة البنى الاجتماعية والعناصر المكونة للمجتمعات، والعوامل الجوهرية التي تؤدي إلى حدوث تغيرات جوهرية وذات فاعليه في البنية الاجتماعية.

حيث تشتق كلمه بنية (Structure) من المصطلح اليونان (Struere) والذي يعطي معنى البناء، ثم أخذ هذا المصطلح لمفهوم ومعنى ليشمل وضع الإجراء في مبنى من وجهة نظر فنية معمارية. (٣)

وعندما يستخدم علماء الاجتماع مصطلح البنية الاجتماعية، فهي اشارة إلى القوى الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية التي تشمل والتي يعترف بها علماء الاجتماع، الأسرة، الدين، التعليم، والاعلام، القانون، وهذه المؤسسات تعتبر مؤسسات متميزة ومترابطة وتساعد في تكوين البنية الاجتماعية الشاملة للمجتمع.

وقد ذكرت الكتب الدينية بتعبيرها عن البنية في الآية (٢٢) من سورة البقرة ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ...﴾ (٤) القرآن الكريم.

وتختلف البنية الاجتماعية لدى الغربيين، فهو ليس من الشرقيين واختلافه من مجتمع إلى اخر في التكوينات الاجتماعية والسياسية.

المطلب الثاني

البنية والتنشئة الاجتماعية والنظام السياسي والعلاقة بينهما

يتضح دور البنية الاجتماعية والنظام السياسي بما تقوم به المؤسسات من غرس القيم النبيلة وثقافة الحوار، وتوعية المواطنين بواجباتهم وحقوقهم وحثهم على المساهمة في الحياة السياسية، فإن النظام السياسي المقصود به ليس هو الحكومة، ولكنه مصطلح أوسع وأشمل، الذي يتعلق بالمؤسسات الرسمية

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

بعملية إدارة القرارات الرسمية، إذ نستطيع أن نؤكد أن النظام السياسي لا يتعلق فقط بالأجهزة الحكومية، بل هو أوسع وأشمل بالتفاعلات السياسية الاخرى. (٥)

وتعمل البنية الاجتماعية على رفع الوعي السياسي للفرد وتعريفه وتعليمه بالنظام السياسي القائم والتعامل معه. ويحدد النظام السياسي في الإطار العام للنظام الاجتماعي، من خلال عملية تنظيم عناصره المختلفة، وبما يتعلق بالنظام السياسي بصورة خاصة العناصر التي تؤسس للنظام السياسي في مؤسسات واجهزة الدولة. (٦)

وبذلك نرى أن النظام السياسي هو أكبر من السلطة السياسية، لما يحتويه من البنية الاجتماعية، والاقتصادية. حيث تبقى مهمتها هو المحافظة على المجتمع وتدار من قبل السلطة السياسية.

وهناك أيضاً بعض الآراء التي حددها العلماء بين البنية الاجتماعية والنظام السياسي، حيث إن علم الاجتماع السياسي يربط بين المجتمع وبين النظام السياسي والمؤسسات السياسية الأخرى، من حيث الاعتماد على إن النظام السياسي ما هو إلا أحد المؤسسات الأساسية في المجتمع المدني ويحضر ذلك بمجموعة من الخصائص المهمة:

١- مهام أهداف المجتمع.

٢- معرفة طاقات المجتمع.

٣- العناصر التي يتألف منها المجتمع. (٧)

وبذلك نرى بأن النظام السياسي يتميز من خلال مشاركة المجتمع في العملية السياسية، وإن هذا الأمر لا يأتي من فراغ بل هي ثقافة المجتمع وعلاقتها بالنظام السياسي، وأيضاً يحدد نوع المجتمعات الموجودة مثل المجتمعات العشائرية، والدينية والقبلية، وما هو مدى تأثيرها على السلطة السياسية.

المطلب الثالث

المكونات الرئيسية في البنية الاجتماعية العراقية

العراق دوله متعددة القوميات، حيث يتألف من قوميتين أساسيتين، هما العرب والكورد، حيث إن العرب هم من المذهب الشيعي والسني، يسكنون في وسط وجنوب العراق، وتشكل هذه القومية العربية ٧٠% من مجموع السكان، مع إن الكورد يعتبرون ثاني قومية في العراق ويشكلون ٢٠% من مجموع السكان، أما الباقي فهي الاقليات الصغيرة، مثل تركمان والاشوريون والكلدان والارمن واليزيديين والشبك. واختلافهم من حيث اللغة والدين والمذهب. (٨)

حيث يشكل العراق حسب التكوينات المذكورة على مجموعة من القوميات والأديان والمذاهب، وفيما بينها ترابطات اجتماعية وأسرية وحقوق مشتركة.

وبذلك نستطيع أن نعتبر القوميات الموجودة في العراق حسب النسب الاتية:

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

١- العرب: يشكلون غالبية المجتمع العراقي، ويتمركزون في وسط وجنوب العراق، أما مذهبهم هو الشيعي والسني، والقسم الآخر يؤمنون بالديانات المسيحية والصابئة، أما معيشتهم في بعض المدن والاقضية وجزء من الصحراء. (٩)

٢- الكورد: تعتبر القومية الكردية ثاني قومية في العراق بعد العرب، اما تميزهم عن العرب، مثل اللغة والدين والمنشأ والجغرافيا، وغالبيتهم من السنة، ومجموعة من الاقلية الشيعية، اما مناطق سكناهم فهي شمال العراق.

٣- التركمان: واحدة من الأقليات الموجودة في العراق، من خلال اختلاف اللغة والاصل. اما ديانتهم فتتوزع بين المذهب الشيعي والسني. اما ديانتهم القديمة هي الشامانية. ولهجتهم أقرب إلى التركية، أما منطقة سكناهم فهي المناطق السهلية ما بين المنطقة الجبلية والمناطق الوسطى. (١٠)

٤- الاشوريون: يتميزون بالثقافة واللغة والدين والعادات. وباعتبارهم اقلية مسيحية تعيش في اقليم كوردستان في العراق. أما الكلدانيون فيتواجدون في شمال العراق، ويشكلون طائفة مسيحية كبيرة في العراق. ويعيشون في مناطق الموصل وبغداد والبصرة وكركوك.

المطلب الرابع

المضمون في تفكيك البنية الاجتماعية ومعاييرها

إن مضمون هذا المطلب يتطلب دراسة واستنتاج، من خلال التعقيد والتشابك في البنية الاجتماعية العراقية، وذلك لأسباب متعددة باعتباره مجتمع يمتلك تاريخ عريق بين المجتمعات من خلال البعد الزمني والجغرافي، حيث إن المجتمع العراقي، يعتبر مزيج بين ثقافات وحضارات متنوعة ذات أطياف عديدة، حيث يعتبر من المجتمعات النادرة والمتنوعة سواء كان تاريخياً أو جغرافياً.

ولأجل فهم طبيعة المجتمع العراقي، فهماً حقيقياً لا مزيفاً، بالابتعاد عن القيود والاغلال. حيث كان المجتمع العراقي التي كانت السلطة العراقية السابقة تتخوف منها، وذلك لمجرد التلميح إلى تحليل علمي للمجتمع العراقي، وخصوصاً في مجال الكتابة أو النشر.

وبذلك نرى ان القيم الاجتماعية، سواء كانت حسنة أم سيئة في المجتمع العراقي من واقع المنهج المحلي والقوى الفاعلة لها، وما تعبر عنها في حياتنا اجتماعية، حيث لا يمكن الاستعانة او تفكيك البنية الاجتماعية العراقية دون دراسة جاده بخصوص ذلك. (١١)

ولم يوجد لحد هذه اللحظة أي خارطة اجتماعية من الناحية السكانية أو الجغرافية، وأيضاً التعمق في معنى التناقضات التي تحكم بنية المجتمع العراقي من الناحية اللغوية أو الفلسفية، وقد عاش المجتمع العراقي منذ القدم في ود وتفاهم، وذلك من خلال الكتب التاريخ والتعايش والود. وكل ما اقتربنا من التاريخ الحديث، نجد دائماً العديد من المشاكل التي كانت تواجه المجتمع العراقي، أما بالنسبة إلى التناقضات إذا كانت تواجه بنية المجتمع العراقي يمكن أن نحددها في النقاط التالية:

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

١- تناقض المجتمع العراقي من خلال الناحية الجغرافية، لما يشكله من جبال وهضاب وضفاف الانهار.

٢- التناقض بين المجتمع الرعوي والعشائري، والمجتمع الزراعي والصناعي، وحرفي ومدني.

٣- التناقض من الناحية الطبقية، حيث من السهولة ايجاد عدالة اجتماعية، من خلال تنوع المجتمعات الموجودة في العراق. (١٢)

وبذلك يمكن القول ان المجتمع العراقي، صادف عده متغيرات وصفحات متنوعة، حيث لا يمكن المقارنة بين العصور الكلاسيكية والعصور الوسطى، والمجتمع العراقي في العصر الحديث. حيث تبقى المسألة غاية في التعقيد والحصول على الاجابات التي تضم الحقائق والاجتهادات.

المبحث الثاني

بنية المجتمع العراقي في أواخر العهد العثماني

تطور العراق خلال المدة الزمنية الواقعة من فتره القرن التاسع عشر إلى تطورات عديدة، من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال توفر الأرضية المناسبة التي كان لها الدافع في هذه التطورات، من خلال التقدم الاقتصادي، والحركة التجارية، ونمو الطبقة العاملة. حيث كان الاهتمام بالجانب الاقتصادي له الأهمية الخاصة في عملية الإصلاح والتحديث. والاستقرار السياسي الذي يشهده العراق كان له الدور الفعال في هذا الأمر، وأيضاً لا يخفى عمليات التبادل التجاري، والبعثات الدراسية التي كان أملاً بارزاً في التأثير على بنية المجتمع العراقي.

المطلب الأول

الاوضاع العامة قبل بدايات التحديث

إن أهم المراحل التاريخية التي مر بها العراق، قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية. حيث خضع العراق تحت نير حكم الدولة العثمانية منذ ١٥٣٤ ولغايه ١٩١٧، من خلال خضوعه إلى سيطرة حكم الدولة الصفوية، وأيضاً حكم الدولة المملوكية. وانتهاء حكم الدولة العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وفق مقررات مؤتمر الصلح في باريس في ٢٨ حزيران ١٩١٨. (١٣)

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

خلال فتره حكم الدولة العثمانية للعراق، لم تكن الأوضاع العامة والمعيشية بأفضل حال لجميع سكانه، من خلال استحصال الضرائب والاموال وذلك لخدمة مصالحها العامة، الأمر الذي أدى إلى تعرض العراق إلى هجمات عديدة مستغلين حالة الضعف، وعلى سبيل المثال هجمات الوهابيين، من خلال تخريب الممتلكات العامة ونهب المدن العراقية. (١٤)

أيضاً عدم اهتمام الحكومة العثمانية بالإنتاج الزراعي، ومعاناة الفلاح من خلال فرض الضرائب الثقيلة، والفيضانات التي كان لها الأثر الكبير على تردي الواقع الزراعي.

واحدة أيضاً من مظاهر الاهمال التي تعرض لها العراق والمدن في العهد العثماني، هو ظاهرة إصابة السكان بالأمراض المعدية، وخصوصاً الكوليرا، والطاعون التي انتقلت العراق عن طريق مدينة تبريز الإيرانية. واخذت بالانتشار في كركوك والسليمانية ونتيجة لكل هذه الظروف لم تأخذ الحكومة التدابير اللازمة للحفاظ على أرواح سكانها. (١٥)

كان نصيب التعليم أيضاً أخذ دوره من المعاناة والتخلف حيث كان يتم في الكتاتيب والمساجد أيضاً، واختصار على قواعد اللغة العربية والعلوم الدينية فقط، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع نسبه الأميين خصوصاً في المناطق الريفية، نتيجة لقلة الاهتمام وسوء الأحوال العامة، والعادات والتقاليد الاجتماعية. حيث كانت واحدة من التقاليد السائدة في المجتمع والتي كانت لا تفضل عمل المرأة وتفضل بقائها في المنزل. (١٦)

ومن هنا نستطيع أن نأخذ بنظر الاعتبار التطورات الاقتصادية التي أثرت على تحديث المجتمع العراقي:

أولا: التجارة:

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تطوراً في الاقتصاد العراقي، لاسيما في الولايات الرئيسية في العراق (بغداد، البصرة، الموصل)، وذلك لارتباط العراق بالسوق العالمية والرأسمالية، وزيادة الانتاج نتيجة الطلب المتزايد على بعض المنتجات. وتطور الحركة التجارية من خلال دخول البواخر التجارية إلى مياه دجلة والفرات. حيث كانت أغلب السلع المصدرة هي من المصنوعة محلياً مثل منسوجات الحرير، التبغ. وكانت معظم البضائع تأتي من الهند وشبه الجزيرة العربية.

كانت الصنعة التي وصلت إليها البضائع العراقية والبعض من البضائع المصنعة صعدت على نشاط حركه التجارة بين العراق والدول الاخرى. حيث كان العامل المساعد لهذا الأمر هو وفر رأس المال، أيضاً الاجراءات القانونية التي اتخذها مدحت باشا، الأمر الواضح في تحسين وضع الاقتصادي والضرائب إذا كانت تفرض في ذلك الوقت. (١٧)

نرى من هنا إنه بعد افتتاح قناة السويس ١٨٦٩، شهد العراق نشاط تجاري بالتصدير إلى أوروبا، حيث كان لهذا الافتتاح أثراً أدى إلى تنشيط النقل البحري بين الشرق والغرب، ونشاط الحركة التجارية في

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

الخليج العربي. ولا يخفى بأن هنالك عوامل داخلية وخارجية ساعدت على تطور حركة التجارة والتصدير في المدن العراقية ومنها:

١- تطور وسائل المواصلات.

٢- الكلفة المنخفضة للنقل.

أما العوامل الداخلية تتمثل في:

١- الإصلاحات الإدارية والاقتصادية.

٢- تطبيق نظام الولايات. (١٨)

ثانيا: الزراعة:

شهد العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تغيرات اقتصادية كبيرة كان لها الأثر الواضح، خصوصا في الريف حيث أصبحت الرغبة في الحصول على الأرض وانتشارها في الزراعة حيث تتحول هذه الأموال إلى مصدر مهم لخزينة الدولة. ونتيجة الطلب المتزايد على هذه الأراضي أدى ذلك إلى ارتفاع أسعارها في الريف والمدينة، حيث كان البعض من أصحاب الأراضي يفضلون إنفاق بعض الأموال من هذه الأرباح بدلاً من وقفها. (١٩) وبعدما حاولت الحكومة العثمانية ام تفرض سيطرتها على المدن، من خلال إصدار قانون الأراضي ١٨٥٨ م، حيث كان الهدف من هذا القانون القضاء على نفوذ العشائر، أما بالنسبة إلى افتتاح قناة السويس وارتباط الاقتصاد العراقي بالتجارة الرأسمالية تأثرت العشائر العربية بحالة الاثر السلبي وذلك تؤثر الأراضي الخاصة بهم بهذا القانون.

أصبح شيوخ العشائر وبما يتمتعون به من ملكية الأراضي الزراعية، من خلال نظرتهم إلى العشائر بطريقة جديدة حيث أصبح الفلاح مصدر الرزق للأرض التي يعمل فيها واستقطاب الفلاحين لهم، وبيع حصتهم من الانتاج وشراء احتياجاتهم من السوق المحلية. (٢٠)

وبعد تولي مدحت باشا الحكم أدى إلى نشوء عوائل قطاعية تمتلك مساحات كبيرة من الأراضي، وإن هذه السياسة خلقت للعراق مشكلة معقده أدت إلى خراب تلك الأراضي بعد إهمالها من المزارعين. حيث أدركت السلطات العثمانية فشل سياسة الطابو في العراق وقامت بإصدار فرمانيين أوقفت بهما منح الأراضي بالطابو.

وتغيرت علاقة الريف من حيث الروابط بالمدينة وأصبح التابعة إلى المدينة، من خلال المساهمة في عمليه الإشراف على زراعة الأراضي، ومما عزز روابط المدينة بالريف هو ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة فذلك بسبب النظام الاقطاعي والبحث عن فرص عمل جديدة في المدينة. وبعد استقرار القبائل في تلك المناطق وتحويل النشاط الاقتصادي، وامتلاكها أراضي زراعية خاصة بتلك الفئة المتمثلة بالعشائر العراقية.

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

ثالثا: النقل:

تم العمل في قطاع النقل من أجل حماية الطرق التجارية وبناء نقاط حدودية بين عدد من المدن أو عمل تطويرات في المدن ما بين السليمانية وكركوك ورفها بالموصل بغداد وتطوير وسائل النقل في بغداد من خلال خدمه الزائرين والوافدين لزيادة العتبات المقدسة، حيث تم سنة ١٨٧٠ تأسيس شركة مساهمة تقوم بإنشاء خط سكه حديد (تراموای). وفي عام ١٩٠٨ دخلت أول سيارة إلى بغداد وتأسيس شركات مثل شركه عربات الخيل وشركه تجاره مراكب البصرة.

أيضاً تطور قطاع النقل النهري من خلال تأسيس شركات للنقل النهري بين بغداد والبصرة منها (بيت لنج). (٢١)

وبذلك نستطيع أن نقول إن وسائط النقل دخلت العراق أصبحت تعزز الروابط بين الريف والمدينة، وتشكيل مصالح استراتيجيه مهمة من خلال اهتمام الدول الأوروبية بالملاحة في نهر دجله والفرات.

المبحث الثاني

السلطة والمجتمع العراقي

تمت المحاولة هنا بالرغم من التطورات الاجتماعية والاقتصادية في العراق الحديث والمعاصر، لكن هذا الاهتمام لم يكن كافياً فيما يخص بعض الجوانب. والأمر الذي يزيد أهمية، عدم قيام دراسة تحليلية لماذا علاقات البنية الاجتماعية والاقتصادية الحديثة في عملية تكوين الأفكار السائدة في المجتمع العراقي. حيث إن بعض الدراسات الاكاديمية تفسر سبب أّن العوامل الاجتماعية كانت عاجزة عن إنتاج حاله فكرية ثورية في المجتمع العراقي. حيث إن تهميش العوامل الداخلية في عمليه تكوين الأفكار الحديث، وذلك سبب نشر صورة متطورة على المجتمع العراقي، وإن الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية للفئات العراقية تملي عليها تصورات خاصه بما ينسجم مع تطلعاتها.

إن العوامل الداخلية للمجتمع كان له الأثر الكبير في عمليه تكوين الفكر العراقي الحديث ولا سيما الفكر السياسي، من خلال العلاقة المباشرة والحيوية للمجتمع حيث نرى طبيعة الأفكار والمفاهيم السياسية السائدة فإن المرتبطة بالتوافقات التي تمت بين الفئات العراقية المتنفذة، والفئات العراقية الصاعدة ومستوى النتائج التي حققتها الطبقة المثقفة العراقية.

بعد إسقاط حكم المماليك (١٧٥٠- ١٨٣١)، بدأت مرحلة جديدة من تاريخ العراق الحديث، وهي مرحلة تميزت بتوطيد العلاقات في هذه المنطقة مع بقية أرجاء الدولة العثمانية، على أساس الإدارة المركزية، وإدخال منجزات الحضارة الأوروبية لها. (٢٢)

حيث وصلت باشوية بغداد التي وصلت إلى حكم العراق تعرضت إلى العديد من الكوارث الطبيعية، من خلال تحولها إلى مناطق شبه جرداء خالية من السكان. الأمر الذي أدى إلى صعوبة الوضع من خلال تحرك القبائل العربية ضد حكم باشا بغداد، الذي بدوره جهز نفسه للقضاء على الكيانات المحلية

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

التي استقلت عن السلطة المركزية حيث جاء بهذه القوة بجمعه السلطات العسكرية والإدارية والقضائية. (٢٣)

كان تعطش الدولة العثمانية المركزية، الذي كان واضحاً منذ مرسوم كالخانة سنه ١٨٣٩، القوانين والتنظيمات التي صدرت بعده، جعلها تستمر في سياسة فصل السلطات، حيث أصبحت هذه إدارات مستقلة ومسؤولة أمام الباب العالي، حيث شعرت السلطة العثمانية بخطأ هذه السياسة، والمركزية الزائدة التي أبعدتها عن الهدف الاستراتيجي، وهو إخضاع كل الأراضي العراقية لسيطرة القانون، الأمر الذي جعلها تعزز سلطه والي بغداد، الذي بوجبه أصبح جميع الموظفين تابعين له. (٢٤)

حيث إن هذا التخبط الإداري هي المشكلة الوحيدة التي كانت تعاني منها البيروقراطية العثمانية من خلال إعدام الكفاءة والمنفعة الذاتية، والتي كان من الأمور الواجب حمايتها، والتي جعلتها في حاله من الارتباك، الذين كانوا يفضلون بيروقراطية.

ونرى هنا إن الزعامة المحلية كانت، في الغالب موروثه لبعض العائلات المحافظة، وكان المنتمون إلى تلك الأسر محافظين جداً، وبالتحديد التي تخص موقعهم الاجتماعي، حيث إن العديد يتمتعون بمكان دينيه رفيعة. حيث استمر الاعتماد المتبادل بين البيروقراطية العثمانية والزعامة المحلية التقليدية، حيث أصبحت المحافظة حقيقة واقعة، هذا يعني إنه لم يكن هناك بالمقابل، فرصه لإجراء التغيير.

الخاتمة

إن التغيرات العميقة التي حصلت في المجتمع العراقي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ما هي إلا محصله المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية الناتجة بصوره الرئيسية عن العامل الاقتصادي الخارجي، التي أدت إلى قلب الموازين في العلاقات الاجتماعية، والتي هي أبرز مظاهره صعود فئات اجتماعية جديدة.

لكن في الوقت نفسه سمح الحراك الاجتماعي المطالب الطبقات الاجتماعية المحرومة وامتياز الفئات المتنفذة من خلال بروز الاقطاع التجاري التي هي ناتجة عن عمليه تكييفيه لإفرازات العامل الاقتصادي الخارجي.

إن الفئات التي اكتسبت وضع المادية ومعنوياً في المجتمع العراقي، أصبحت تخشى التغيير من تلك المخاوف التي أثارتها المتغيرات الاجتماعية والفكرية الطارئة، كذلك أيضاً بعض الفلاحين والعمال تسمى بشعور فقدان الأمن عن الفقر والخاصة تجاه العالم الخارجي.

ولأن الصراع المحدود يجهض بين مصالح الطبقات الاجتماعية تسعى لإحراز مكاسب ضمن البنية الاجتماعية القائمة.

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

وبالمحصلة فإن بروز المفاهيم المذكورة بتجلياتها النهائية، هي القواعد الأساسية للفكر العراقي السياسي الحديث، كان نتيجة محضه للتحولات الاجتماعية السائدة داخل المجتمع العراقي وتطوير البنية الاجتماعية، حيث شهد المجتمع العراقي تطوراً كبيراً في مختلف المجالات، وذلك لتوفر الأوضاع السياسية المناسبة لترافق تطور الاقتصاد العراقي دوراً فعالاً في ذلك، وتعد تلك تطورات التي شهدها المجتمع العراقي بمثابة النواه الأولى للتقدم الذي شهده المجتمع العراقي.

المصادر

١- انطوني غدنز وكارين بارسال. علم الاجتماع، ترجمه فايز الصياغ، الطبعة الرابعة، بيروت، ٢٠٠٥، ص٨.

٢- صادق الاسود. علم الاجتماع السياسي، كليه العلوم السياسية، جامعه بغداد، بغداد، ١٩٩٠، ص١٨.

٣- شاكر الانباري. ثقافه العنف اطلاله على العراق ما بعد الحرب، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ص٢٢-٢٥.

٤- رشيد الخيون. الاديان والمذاهب في العراق، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٩، ص.٣٢

٥- حنا بطاطو. العراق والحركات الثورية من العصر العثماني، ترجمه عفيفة الرزاز، مكتبه عدنان، بغداد، ٢٠٢٠، ص١٨-٤٢.

٦- صالح جواد كاظم وعلي غالب العاني. الأنظمة السياسية، القاهرة، ١٩٩٠، ص.٦٢

٧- كمال المنوفي. اصول النظم السياسية، دار الربيعان، الكويت، ١٩٨٧، ص.٧٦

٨- كردستان سالم سعيد. أثر التعددية الأثنية على الوحدة الوطنية في العراق، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٨، ص.٥٦

٩- مجموعه من الباحثين العراقيين. حضارة العراق، الجزء السادس، بغداد، ١٩٨٥، ص ص١٠٨-١٢٢.

١٠- عزيز قادر الصمانجي. التاريخ السياسي لتركمان العراق، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠، ص.٤٢

١١- هانز هاينريش غبرث. علم النفس اللغوي والاجتماعي، ترجمه سليم حداد، نيويورك، ١٩٥٣، ص.١٠٨

١٢- آيان كريب. النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. ترجمه محمد حسين مظلوم، بيروت، ١٩٩٩، ص١٣٢.

١٣- علاء موسى كاظم نورس. العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠، بغداد، ١٩٧٩،ص ص٢٢-٥٢.

١٤- ستيفن هيمسلي لونكريك. اربعه قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمه جعفر الخياط، بغداد، ١٩٨٥، ص.٣٥٢

١٥- ل. ن. كوكلوف. ثوره العشرين الوطنية التحررية العراقية، ترجمه عبد الواحد كرم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٥، ص.٢٠

١٦- جعفر الخياط. صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بغداد، ١٩٧١، ص.٢٨١

١٧- لوتسكي. تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمه عفيفة البستاني، موسكو، ١٩٧١، ص.١٦٩

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

١٨- محمد سلمان حسن. التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية وتطور الاقتصادي ١٨٦٤- ١٩٥٨، بيروت، ١٩٦٥، ص.٨٨.

١٩- شارل عيساوي. هل تاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب، ترجمة رؤوف عباس حامد، ١٩٩٠، ص.٣٠١.

٢٠- حنا بطاطو. المصدر السابق، ص.١٠٣.

٢١- علي الوردي. لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث، بغداد، ١٩٧١، ص.٢٦٧.

٢٢- وميض جمال عمر نظمي. ثوره ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٥، ص.٧٥.

٢٣- عامر حسن فياض. جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤-١٩٣٩، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢، ص.١٨٤.

٢٤- سيار الجميل. زعماء وافنديه الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب البنية التاريخية العراق الحديث- الموصل انموذجاً، عمان، ١٩٩٩، ص١١٠.

Sources:

١- Anthony Giddens and Karen barsal. Sociology, translated by Fayez Sayag, fourth edition, Beirut, ٢٠٠٥, p. ٨.

٢- honest black. Political Sociology, Faculty of Political Science, University of Baghdad, Baghdad, ١٩٩٠, p. ١٨.

٣- Anbari Shaker. Culture of violence: a view of post-war Iraq, Institute for Strategic Studies, Beirut, ٢٠٠٧, pp. ٢٢-٢٥.

٤- Rashid Al-khayun. Religions and sects in Iraq, al-Jamal publications, Beirut, ٢٠٠٩, p.٣٢.

٥- Hanna potato. Iraq and the revolutionary movements of the Ottoman era, translated by Afifa Razzaz, Adnan's Office, Baghdad, ٢٠٢٠, pp. ١٨-٤٢.

٦- Saleh Jawad Kazem and Ali Ghalib ANI. Political regimes, Cairo, ١٩٩٠, p. ٦٢.

٧- Kamal Al-manoufi. The origins of political systems, Dar Al-Rabiyan, Kuwait, ١٩٨٧, p.٧٦.

٨- Kurdistan Salem said. The impact of multi-ethnicity on national unity in Iraq, Kurdistan Center for Strategic Studies, Sulaymaniyah, ٢٠٠٨, P.٥٦.

٩- a group of Iraqi researchers. The civilization of Iraq, Part VI, Baghdad, ١٩٨٥, pp. ١٠٨-١٢٢.

١٠- Aziz Kader cymbals. The political history of the Turkmen of Iraq, Dar Al-Saki, Beirut, ٢٠٠٠, P.٤٢.

١١- Hans Heinrich goberth. Linguistic and Social Psychology, translated by Salim Haddad, New York, ١٩٥٣, P.١٠٨.

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com

١٢- Ian Cribb. Social theory from Parsons to Habermas. Translated by Mohammed Hussein Mazloum, Beirut, ١٩٩٩, p. ١٣٢.

١٣- Alaa Moussa Kazem Nourse. Iraq in the Ottoman era, a study in political relations ١٧٠٠-١٨٠٠, Baghdad, ١٩٧٩, pp. ٢٢-٥٢.

١٤- Stephen Hemsley Longcreek. Four centuries of the history of modern Iraq, translated by Jafar Al-Khayat, Baghdad, ١٩٨٥p., ٣٥٢.

١٥- L. N. Kuklov. The twentieth national liberation revolution of Iraq, translated by Abdul Wahid Karam, second edition, Beirut, ١٩٧٥, P.٢٠.

١٦- Jafar the tailor. Pictures from the history of Iraq in the Dark Ages, Baghdad, ١٩٧١, p.٢٨١.

١٧- Lutsky. The modern history of the Arab countries, translated by Afifa Al-Bustani, Moscow, ١٩٧١p., ١٦٩.

١٨- Mohammed Salman Hassan. Economic development in Iraq, Foreign Trade and economic development ١٨٦٤-١٩٥٨, Beirut, ١٩٦٥, P. ٨٨.

١٩- Charles Issawi. Is the economic history of the Fertile Crescent, translated by Rauf Abbas Hamid, ١٩٩٠p., ٣٠١.

٢٠- Hanna Batato. Previous source, P. ١٠٣.

٢١- Ali pink. Social profiles of the modern history of Iraq, Baghdad, ١٩٧١, p. ٢٦٧.

٢٢- the flash of Jamal Omar Nazmi. The revolution of ١٩٢٠, the political, intellectual and social roots of the Arab Nationalist Movement, second edition, Baghdad, ١٩٨٥p., ٧٥.

٢٣- Amer Hassan Fayad. The roots of democratic thought in modern Iraq ١٩١٤-١٩٣٩, House of Public Cultural Affairs, Baghdad, ٢٠٠٢p., ١٨٤.

٢٤- beautiful car. The leaders and supporters of the Ottoman Pashas and the Arab revivalists the historical structure of modern Iraq-Mosul as a model, Amman, ١٩٩٩, p. ١١٠.

Corresponding author:
Jawan.jaff٨٤@gmail.com